

الفصل الحادي والعشرون

[خطة فاشلة؟؟]

بعد وقت كافٍ من مراقبة جهاز الجاذبية، وبعد أن خطط أمجد للعملية بشكل كامل، انطلق هو وأدهم لأداء تلك العملية بينما بقيت مع بسملة في المخبأ متسلحة بالسلاح الذي كان تقريباً فارغاً من الرصاص..

كانت خطة أمجد لا تحتاج لتنفيذها إلا اثنين، لذلك كنت أكثر راحة بالبقاء هنا مع بسملة عوضاً عن اضطراري الذهاب مع أمجد لأي مكان.. شاهدت بسملة تدور قلقة في الكهف كعادتها وهي تفرك يديها قبل أن تغغم "أتظنين أنهما سينجحان؟"

أجبتها بهدوء "لم لا تتفائلين خيراً؟ كفي عن التحرك فأنت تسببين لي التوتر" لكنها لم تتوقف وهي تكاد تحفر الأرض بخطواتها المتواصلة.. في تلك الأثناء، كان أمجد وأدهم قد وصلا للجانب الثاني من الجبال حيث موقعنا المعتاد للمراقبة، فقبعا هناك وأمجد يراقب الوضع قرب الجهاز بالمنظار، ثم قال "علينا التسلل دون أن يرانا الحراس والاختباء حتى قدوم المروحية.. حاول ألا تصدر أصواتاً عندما نصل"

هز أدهم رأسه موافقاً، فبدأ نزول الجبل محاولين الاختباء خلف صخوره بعيداً عن الأعين رغم أن الظلام كان غطاءً ممتازاً لهما.. وفي الأسفل، شرعنا بالسير الحثيث نحو موقع الجهاز محنني الظهور محاولين ألا يلفتا الانتباه بسيرهما على الأعشاب، فاضطرا لأخذ دورة واسعة حول المنطقة قبل الاقتراب.. كان الجهاز بعد أن اقتربا منه يصدر دويّاً منخفض المدى بشكل يسبب الازعاج باستمراريته وانخفاضه، لكن الاثنان لم يهتمتا بالأمر وهما يربضان في موقع اختاراه بحيث تخفيهما الصخور عن أعين الحراس وأجهزة المراقبة.. كانت عدة ساعات تفصلهم عن وقت الشروق، مما يستوجب أن ينتهيا من الجزء الأول من الخطة بأسرع وقت..

رأى أمجد أحد الحراس وهو يمشي قريباً من السور ليطرد الملل بعد ليلة قضوها في مراقبة مملة.. ثم جلس في بقعة قريبة وهو يحاول إشعال سيجارة..

أشار أمجد لأدهم بإشارة صامتة ليستعد، ثم تحرك من موقعه مبتعداً عن نور الكشافات في دائرة واسعة حول السور المحيط بالجهاز ومتفادياً أن تلمحه أجهزة المراقبة حتى وصل لبقعة تخفيه بعض الصخور فيها عن الأعين.. فقبع في موقعه بانتظار أن يبتعد الحارس الذي كان يقف هناك ويزفر متملاً.. وبعد ما يتجاوز النصف ساعة، تحرك الحارس من موقعه متجهاً نحو الآخرين وهو يتحدث

بصوت خفيض.. فزفر أمجد وهو يرفع سلاحه ويصوبه نحو باب حديدي صغير في السور، وقد فسر له وليد أهميته وعمله.. كان أمجد بهذه الحركة يعلنها حرباً مع الحراس، لكن أهم ما في الأمر هو تجاوز هذه العقبة..

وبعد أن أحكم التصويب، أطلق عدة رصاصات نحو ذلك الباب الذي انبجج مع الرصاصة الأولى قبل أن تخترقه الرصاصات الأخرى لينطلق من قلبه شرر مفاجيء مع فرقعة قوية.. ومع صوت الرصاص فإن الحراس تحفزوا بدهشة قبل أن يفاجؤوا بنور الكشافات ينقطع، بالإضافة لأجهزة المراقبة التي توقفت عن العمل مع انقطاع الكهرباء عنها، بينما ظل جهاز الجاذبية يهدر كالمعتاد بسبب اعتماده على مولد كهربائي ضخم يضمه السور بقلبه....

في تلك اللحظة، اندفع أدهم مقترباً بخفة من الحارس الذي تحفز واقفاً، فلكمه بقوة لكتين متتابعتين وأسقطه أرضاً.. سمع عدة طلقات تصدر من الجانب الآخر من السور، لكنه لم يتوقف وهو يتقدم ليكمل عمله مع حارسين آخرين وقفوا ينظران جهة الأصوات بانتظار ما سيسفر عنه تفحص رفاقهم لتلك البقعة..

بعد دقائق معدودة، كان أدهم وأمجد قد تغلبا على الحراس في المنطقة بأقل الخسائر.. فقال أدهم وهو يجذب أحد الحراس بعيداً عن السور "ألا تلاحظ أن مقاومة الحراس ضعيفة حقاً؟ لم أخطأ بلكمة محترمة منذ جئت لهذا الكويكب"

غمغم أمجد وهو يجذب حارساً آخر "وهل تتمنى ذلك حقاً؟ هؤلاء الحراس ليسوا ذوي خبرة بالعراك الجسدي، إن اعتمادهم الكلي على الأسلحة بأيديهم وعلى الأساور التي تقيد السجناء يغطي هذا الضعف فيهم"

تساءل أدهم متعجباً "لكن الغريب أن يسقطوا على يدك رغم أنك تبدو ضعيف الجسد" ابتسم أمجد معلقاً "قد أبدوا كذلك، لكن ما أدراك أنني ضعيف حقاً؟"

صمت أدهم متعجباً وهما يكملان عملهما، وبعد أن فرغا من تقييد الحراس في جانب المكان، قال أمجد متوتراً "الآن نبدأ الجزء الثاني من الخطة.."

وتناول جهاز الإرسال فارتدى الساعة ووضع القطعة الصغيرة في أذنه.. زفر للحظات بتوتر، ثم أجرى الاتصال بأحد المساعدين كما علمه وليد، ولما تلقى استجابة من الطرف الآخر قال بلغة نايب وبصوت جعله يبدو قلقاً "سيدي، لدي تقرير عاجل أريد إيصاله للقائد.."

سأله المساعد "ماذا هناك؟"

قال أمجد بقلق وهو ينظر لبطاقة الحارس الذي استولى على جهازه "أنا تيم من الفريق المناوب على حراسة جهاز الجاذبية.. الجهاز يصدر أصواتاً مزعجة بين فترة وأخرى.. صريراً عالياً يتكرر كل ربع

ساعة.. أخشى أن يتعطل فجأة ونقع في المشاكل"

قال المساعد "سأرسل لك مهندسين ممن اختصا بصيانة الجهاز.. هما سيعرفان ما يفعلانه"
أسرع أمجد يقول بذعر "لن يكفي وجودهما يا سيدي.. لقد استشرت أحدهما بالفعل قبل الآن، وهو لا
يعرف ما قد يكون سببه واقترح عليّ أن أستدعي ذلك العالم لرؤيته بما أنه كان ممن شاركوا في
تطويره"

كان أمجد يعتمد على غياب المهندسين في هذا الوقت من الليل مما لن يمكن المساعد من التأكد من
أقواله، فيما قال المساعد بحدة "أنت تعلم أن إرسال ذلك العالم مستحيل.. ليس قبل أن يحضر
المهندسان ويتفحصا الوضع.. وبعدها يقرر ماك إن كان من الضروري إرسال العالم أم لا"
قال أمجد بعجلة "من يدري أيسعفنا الوقت عندها أم لا؟.. المدة بين تكرار الصوت تتناقص، وقد يكون
في هذا التأخير خسارتنا جميعاً"

صمت المساعد مفكراً، فاندفع أمجد يقول "لم لا يحضر العالم مع المهندسين توفيراً للوقت؟ اطرح
الفكرة على القائد وانظر ماذا يرى"

فقال المساعد بصرامة "سأطرحها عليه وأعود بالجواب.. انتظر اتصالي"
أنهى أمجد الاتصال ونظر لأدهم الذي علق "أرجو أن يكون قد اقتنع بأدائك"
صمتا وهما يجلسان جانباً بعد أن جمعا أسلحة بقية الحراس وخباها بعيداً لحين وقت حاجتهما لها..
بينما أبقوا الحراس فاقدى الوعي في موقع تغطيتهم الصخور عن بصر قائد المروحية ومن معه.. طال
الزمن بهما وهما ينتظران بقلّة صبر، وعندما سمعا الهدير المتعالي يقترب منهما هباً واقفين وأمجد
يقول بتوتر "الآن وقت الجد"

قال أدهم وهو يراقب المروحية "لست بحاجة لتذكيري..
ابتعد أدهم قبل أن تقترب المروحية بحيث يراه راكبوها واختبأ خلف صخرة كبيرة تبعد أمتاراً عدة عن
الجهاز.. بينما وقف أمجد في موقعه مطمئناً لارتدائه زي الحراس وهو ينظر لنور المروحية الذي سطع
في البقعة.. بدأت الأعشاب بالتمايل بعنف مع ازدياد قوة الرياح والمروحية تبدأ رحلة هبوطها.. فتمسك
أمجد بسلاحه بقوة وهو يزفر من جديد ويغمغم "من يدري.. أنقشل هذه الخطة أيضاً أم لا.."

ظلمت أهدر قدمي بعصبية وأنا أتمسك بسلاحي وأزفر بضيق.. البقاء هنا والانتظار أصعب من المشاركة
في تلك الخطة الخطرة.. على الأقل عندها لن يستسلم عقلي لخيلات عما قد يجري هناك.. خاصة أن

المرّة الأولى انتهت بأمجد مصاباً بشدة.. سمعت بسمّة تغمغم "الآن أنت تشيرين توتري بحركتك هذه" ابتسمت ابتسامة متوترة وقلت "لقد تأخرا كثيراً.. المشكلة أننا لا نملك أي وسيلة للتواصل معهما" قالت بسمّة "لكن موقعهما يبعد كثيراً عنا.. سيستغرق هذا منهم وقتاً طويلاً أثناء ذهابهم وعودتهم..". تنهدت وأنا أقف لأنظر من مدخل المخبأ، ونظرت للأفق بانتظار أن تبدو منه ملامح النهار الوشيك.. رأيت بسمّة تخرج من المخبأ بدورها حاملة إحدى الحاويات، فسألتها "إلى أين؟" ابتسمت مغممة "كل هذا التوتر أصابني بعطش شديد.. سأحضر بعض الماء من الموقع القريب ولن أتأخر"

لم يعجبني رحيلها وحيدة الآن، لكن لم أرد ترك المخبأ أيضاً دون مراقبة.. فظللت في موقعي وأنا أصمت وأتنفس هواء الكويكب بعمق، عندما سمعت شهقة خافتة في الموقع الذي اختفت فيه بسمّة.. اعتراني القلق وأنا أنشبت بسلاحي أكثر، ورفعته وأنا أندفع للموقع الذي غابت فيه قبل قليل.. ولم أكد أتجاوز ما يفصلني عنها من صخور، حتى رأيتهما تقف مكتوفة اليدين ومكمنة الفم بواسطة أحد الحراس، بينما ظهر آخران قربي وسلاحيهما يرتفع في وجهي..

تمالكت نفسي بسرعة ورفعت سلاحي لأضرب به أقرب الحراس مني.. تفادى الضربة الأولى لكن أصابت الضربة الثانية سلاحه فأبعدته عني لتلحقها أخرى أصابت بطنه بقوة.. لكن لم أكد ألتفت للحارس الثاني حتى وجدت ضربة قوية تصيب يدي لأفلت السلاح فيسقط بعيداً، بينما قام حارس آخر ظهر من خلفي وهو يلوي ذراعي بعنف خلف ظهري وهو يقول "هذه ليلة سعيدة.. قبضنا على نصف الهاربين، وبقي النصف.."

أشار لاثنتين من الحراس اللذين انطلقا بخفة نحو مخبأنا، بينما قام الحارس بتقييدي وبسمّة بقيد حديدي، ولم يلبث الاثنان أن عادا وأحدهما يقول "الموقع فارغ تماماً.. ولا يبدو لهما أثر في البقعة حوله"

فسألني الحارس "أين رفيقك؟ أين ذهبنا في هذا الوقت؟"

قلت بحدة "لا أعلم.. لقد غادرا وقد لا يعودان أبداً"

قال عاقداً حاجبيه "أتظنين أننا حمقى لنصدق هذا؟"

وقال لأحد الحراس "سأعود بهما للمباني الإدارية، استدع عدداً من الرفاق وجهزوا كميناً للرجلين حال عودتهما.."

نظرت لبسمّة التي بادلتني نظرات القلق والفرع.. لو عادا، أمجد وأدهم، فسيجدان مفاجأة غير سارة تنتظرهما في المخبأ.. هذا طبعاً لو عادا..

عندما استقرت المروحية أرضاً، فتح بابها ليهبط منها حارس جذب خلفه رجلاً طويلاً على شيء من الضعف بشعر أسود غزير مبعثر ووجه بدا الإرهاق عليه وإن لم يُخَفِ الذكاء في عينيه السوداوين.. فكاد أمجد يفلت تنهيدة ارتياح وهو يرى عمه قادماً مع ثلاث حراس ويصحبها مهندس بالإضافة لقائد الطائرة.. فقط كان يخشى أن يفضح العم معرفته بأمجد للحراس.. لكن خالد اكتفى بأن ألقى نظرة سريعة على أمجد قبل أن يقطب ويدير بصره نحو الجهاز بصمت..

لم يفكر أمجد في مغزى تلك النظرة وهو يشير لخالد ليتبعه قائلاً "من هنا يا سيدي.. سيظهر الصوت في أي لحظة الآن"

تساءل خالد "ما طبيعة ذلك الصوت؟ هل يبدو كصرير مزعج وتصحبه فرقعة بين وقت وآخر؟"

قال أمجد بسرعة "أجل.. هذا هو.. كان الصوت من الإزعاج بمكان حتى ظننت أنه قد يتعطل في أي لحظة"

تساءل أحد الحراس الذي تبعهما "أين بقية الحراس؟ كيف يتركون الموقع دون حراسة؟"

أشار أمجد بإشارة مبهمة وهو يقول "إنهم هناك.. يأخذون قسطاً من الراحة وسيعودون حالاً"

قطب الحارس مدمماً "قسطاً من الراحة في هذا الموقع الذي لا يتطلب أي عمل؟"

في تلك الأثناء، كان أدهم يتسلل بدورة واسعة قليلاً ليتقدم من المروحية حيث ربضت وقائدها جالس فيها باسترخاء.. ولما صعد أدهم من بابها المفتوح التفت القائد إليه متسائلاً "هل انتهى العمل هنا؟"

فاجأه أدهم بضربة قوية بالسلاح في فكه جعلته يرتطم بالنافذة الزجاجية خلفه.. وأتبعها بأخرى تقادها القائد بصعوبة وهو يركل أدهم بقوة في صدره.. لكن أدهم تشبث بالكرسي القريب لئلا تسقطه الركلة خارج المروحية، وعاد يضرب القائد بقوة على وجهه أسقطته فاقد الوعي.. عندها أخرجه أدهم من باب المروحية المعاكس لموقع الجهاز وجذبه بعيداً شيئاً ما وقيده مستخدماً أكمام معطفه..

بعدها عاد يتسلل لموقع قريب من الجهاز بعد أن تأكد أن أحداً من الحارسين الذين وقفوا يتحدثان بعيداً عن موقع المروحية لم يريا ما حدث لقائد المروحية.. بينما كان أمجد وخالد والمهندس مع أحد الحراس قد عبروا السور الحجري المحيط بالجهاز وغابوا بعيداً عن الآخرين.. بعد أن تأكد أمجد من ابتعادهم عن جانب السور المقارب لموقع الحارسين الآخرين، ترك عمه والمهندس يقومان بفحص الجهاز الذي كان يحوي على أجهزة تحكم في صندوق مغلق بإحكام ومحمي بكلمة سر من عدة أرقام حرصاً عليه من عبث العابثين.. بينما تأخر أمجد خلفهم ليقف قريباً من الحارس المرافق لهما، ووقف هناك بصبر متوتر.. بعد فترة من الوقت، سمع الجميع طلقة شقت الأجواء تبعتها صيحة ألم،

فاستدارت الرؤوس لتلك الجهة بتعجب وقلق، لكن أمجد قام بدفع سلاحه بقوة في وجه الحارس القريب منه بحيث أصابته الضربة في أنفه لينثني على نفسه متألماً، فعاجله أمجد بضربة على مؤخرة رأسه أسقطته أرضاً وهو يستولي على سلاحه، ثم أداره بسرعة نحو المهندس الذي وقف يراقب ما يجري بصدمة.. صاح به أمجد "لا تحاول أن تقوم بأي حركة مشبوهة أو تجري اتصالاً بالإدارة.. لن أتردد في إصابتك برصاص سلاحي"

رفع المهندس يديه عالياً بذعر، فاقترب منه أمجد لينزع عن ذراعه جهاز اتصال كالذي يملكه الجنود، ثم عاد للحارس وفعل المثل خوفاً من استيقاظه فجأة.. ولما التفت لخالد وجده ينظر له بدهشة، وقبل أن يتفوه أمجد بكلمة قال خالد "عندما رأيته عند وصولي غالطت عيناك وشككت في سلامتهما.. لكني الآن منصدم يا فتى"

ابتسم أمجد معلقاً "ليس هذا هو المهم.. اتبعني بسرعة" تقدمه خالد بتعجب وأمجد يتبعه دون أن يغفل عن المهندس والحارس خلفه خوفاً من مباغتتهما له.. وبعد ابتعادهما قال له خالد "ما الذي جاء بك إلى هذا المكان يا أحمق؟ لقد طلبت منك صراحة ألا تتدخل ورجوت أن تطيعني مرة واحدة على الأقل"

أجاب أمجد "أظنني كنت سأفعل ذلك حقاً؟ دع هذا الحديث لما بعد، ولننته من هذا الموقف الآن" غمغم خالد وهو يتبعه متقدمين من البوابة "حظك عاثر يا فتى.."

لما وصلا بوابة السور المحيط بالجهاز، نظر أمجد من خلفها بحرص ليرى أحد الحارسين ساقطاً أرضاً يتألم من ضربة برأسه، بينما أدهم يشتبك مع الآخر في عراك محدود، فلم يكن من أمجد إلا أن تسلل خلف الحارس وضربه بدوره على رأسه ليسقطه مع رفاقه.. فيما بقي خالد يراقب بما يجري قرب البوابة بتعجب أكبر..

بعد أن تخلص أدهم وأمجد من جهازي الاتصال الخاصين بالحارسين، سأله أمجد "ماذا عن قائد الطائرة؟ هل تخلصت منه؟"

قال أدهم "أجل.. بدأت به لأنه في بقعة متطرفة.. وربطته بإحكام"

تساءل أمجد "وهل أخذت جهاز الاتصال منه؟"

قطب أدهم مجيباً "لم أفعل.. إنه مقيد جيداً"

قال أمجد بقلق "مهما يكن الأمر، لا نريد أي مفاجآت.. اذهب وأحضر الجهاز منه"

لم يكد أدهم يتحرك من موقعه مع مرأى قائد الطائرة الذي ظهر من خلف طائرته رافعاً سلاحاً في وجهيهما وهو يصيح "لا داعي للمقاومة.. ليس هذا في مصلحتكما"

رفعا سلاحيهما بدوريهما في وجهه وأدهم يقول بسخط "كيف تخلصت من قيودك؟"

لكن قائد الطائرة هتف "قلت لا داعي لذلك.. سيفوتكما أمر مهم كثيراً"

تبادلًا نظرات تعجب وتوجس، عندما رأى القائد يعبث بجهاز اتصاله فيفتح الاتصال على مكبر الصوت، وأمجد يقف مع أدهم وخالد القريب ينظرون له باستغراب، فسمعوا صوت قائد الحرس يقول بصرامة بصوت عالٍ "اسمعوا أيها الأوغاد.. الأفضل لكم رمي أسلحتكم وإعادة خالد إلى الحراس.. وطبعاً عليكم تسليم أنفسكم للحراس كذلك"

غمغم أدهم عاقداً حاجبيه "هذا الرجل مجنون.."

بعد صمت قصير فهم القائد مغزاه، قال بحدة "يبدو أنكم لا تقدرون عواقب كل ما تفعلونه.. حسناً، خذوا هذا.."

تبادل أمجد وأدهم النظرات المدهشة، عندما سمعوا فجأة صراخ بسمة المذعور "حمراء.. لاااااا.. اتركوها.."

صدم الاثنان بما سمعاه وأدهم يصيح "أيها الوغد.. ما الذي فعلته؟"

جاءهم صوت القائد قائلاً "الآن، سلموا أنفسكم دون مقاومة.. وستحضركم المروحية لتجتمعوا بهاتين الجميلتين دون ضرر.. اتفقنا؟"

قال أدهم بغیظ "لن يفلت هذا الرجل مني.."

زفر أمجد بقلق متزايد وهو يقول "وما الذي نستطيع فعله؟ يمكننا الآن أن نفرّ بأنفسنا دون ضرر كبير، لكن ماذا عن حمراء وبسمة؟"

قال أدهم بحدة "لن نتخلى عنهما.."

قال أمجد وهو ينظر لعمه الذي كان يتأمل ما يجري بفضول "بالطبع لن نفعل.. لكننا بإطاعتهم سنعود لنقطة الصفر من جديد.."

قال أدهم "هذا لا يهم.. سنعيد كل ما فعلناه من جديد.."

ورمى سلاحه عند قدم أقرب حارس إليه بعد أن استعاد الأخير توازنه، قبل أن يرفع ذراعيه باستسلام.. فتنهّد أمجد وهو يقول لخالد "يجب أن نستسلم.. هذا هو الحلّ الوحيد"

قال خالد بتعجب "أيهمكما أمر هاتين الفتاتين؟"

قال أمجد مقطباً وهو يتخلى عن سلاحه "أجل.. يجب أن نعود لئلا يؤذونهما"

ورفع ذراعيه بدوره، بينما تنهّد خالد مغمغماً "كان حلماً أجمل من أن يتحقق.."

رأى الحراس يسرعون إليهم فيقبضون عليه بحرص بينما نال أمجد لكمة قوية أسقطته أرضاً..

وبالفعل كانت لكمة أخرى من نصيب أدهم الذي لم يتأثر كثيراً وهو يقول بصرامة "لم العنف الآن؟ لقد استسلمنا لكم، فخذونا لقائدكم دون تأخير"

قال أحد الحراس وهو يدفع السلاح في ظهره "أأنت متلهف لهذا؟ تقدم وحذار من المقاومة" لم يعترض أدهم وهو يتقدم من المروحية مع أمجد وخالد ليضمهم قلبها مع أربعة من الحراس دون جهد، بعد أن تولى الحراس إيقاظ رفاقهم وفك قيودهم ليعودوا لمواقعهم في حراسة الجهاز.. لحسن حظهم لم يكن الحراس يملكون أي قيود يقيدون أيديهم بها.. وعندما ارتفعت المروحية بكل سلاسة وطارت عائدة للمباني الإدارية، فإن خالد تنهد مغمغماً "ها نحن نعود لذلك السجن من جديد" غمغم أمجد بالعربية التي لا يفهمها البقية "سنخرجك منه بإذن الله تعالى يا عمي.."

لم تستغرق المروحية الكثير من الوقت لتهبط وسط المباني الإدارية كما طلب منها قائد الحراس، ولم تكد تفعل حتى نزل منها الثلاثة يحيط بهم الحراس الذين قدموا معهم، وتقدموا وسط الساحة حيث جماعة أخرى من الحراس مع قائدهم واقفين بتأهب.. ووسطهم، رأوني مع بسمة والأسلحة مشهورة في وجوهنا.. كنت قد تلقيت ضربة بسلاح أحدهم أسقطتني أرضاً دافعة بسمة للصراخ المذعور حتى يصل صوتها لأمجد وأدهم عبر جهاز الاتصال.. يبدو أنه قد كتب على وجهي لافتة تقول "قابل للضرب..". أو شيء من هذا القبيل، فالكل يستهدفني هنا.. عندما اقتربوا منا سألنا أدهم بالعربية "هل أنتما بخير؟" هزرت رأسي إيجاباً بينما كانت الدموع تغرق وجه بسمة بسخاء، لذعرها على ما يجري ولصدمتها بالضربة التي تلقيتها.. فقال القائد بصرامة "كفوا عن هذا العبث.. يبدو أنكم لا تقدرون الموقف الذي أنتم فيه"

اجتمعنا كلنا وسط الحراس المشهرين سلاحهم، فقال القائد بابتسامة "مرحى.. هذه هي المرة الأولى التي تجتمعون فيها في ضيافتي.. حقاً إنني سعيد برؤيتكم"

ثم قال لخالد "ألم تتوان عن استغلال أول فرصة أنتك لتهرب منا يا خالد؟ إنك تجرح مشاعري حقاً"

قال خالد بتهكم "ادخر مشاعرك لحراسك فأنا قد شبع من هنا حقاً"

لم يعبأ القائد بتهكمه وهو يستدير قائلاً "أحضروهم واحرصوا عليهم بشدة.. سيراهم ماك شخصياً الآن"

بدأ سيره تجاه المباني الإدارية، فدفعنا الحراس للحاق به.. لكن لم نكد نخطو خطوتين حتى سمعنا أدهم يقول بالعربية "عندما أعد ثلاثة.. لنهجم في وقت واحد"

كنا محاطين بأربع حراس مع القائد، بالإضافة للأربعة الذين هبطوا من المروحية.. فهمس أمجد "أنت

مجنون.. لا تفعل..”

لكزه أحد الحراس ليصمت، لكن أدهم قال "سنستولي على سلاحهم ونشق طريقنا بالقوة.. هناك مركبة قريبة سنستولي عليها"

صاح أحد الحراس وهو يضرب أدهم بسلاحه "قلت لك اصمت.."

نظر له أدهم بغیظ، ثم قال بصوت عالٍ فجأة "واحد.. اثنان.. ثلاثة"

وانقض على ذلك الحارس ليلكمه بقوة ألقتة للوراء، وقد أمسك سلاحه ليجبره على التخلي عنه مع عنف اللكمة.. صدم الحراس لهذا لثوان استغلها أمجد الذي لم يجد بداً من التحرك رغم كرهه لاندفاع أدهم غير المتعقل.. فلکم الحارس القريب واستولي على سلاحه، وتفادى لكمة حارس آخر قبل أن تصيبه ضربة من حارس من الخلف.. فاندفعت أنا وارتطمت بذلك الحارس بكل قوتي حتى سقط أرضاً، ولما رفع السلاح في وجهي أمسكته بسرعة وأنا مدركة أنه لن يحاول إصابتي أبداً، ودفعته بقوة ليضربه في أنفه بقوة جعلته يفلت السلاح..

أمسكت السلاح بقوة وعدت للمعمعة التي دارت بين رفاقي والحراس وسط صراخ القائد الحانق، بحثت عن بسمه فوجدتها تقف مذعورة في جانب المكان بعد أن انشغل الحراس عنها مع أمجد وأدهم، بينما تراجع خالد قليلاً وهو يراقب ما يجري دون أن يرفع إصبعاً..

رأيت القائد يتحدث عبر جهاز الاتصال، لابد أن يستدعي المزيد من الحراس للقبض علينا، فهتفت ببسمه "اهربي نحو المركبة.."

واندفعت نحو العالم الذي كان يشبه أمجد في ملامحه بشكل كبير، ودفعته أمامي قائلة "لنبعد.. سيحضر المزيد منهم قريباً.."

رأيت أحد الحراس يندفع نحو خالد بغية القبض عليه، فاندفعت نحوه وضربته بكتفي بقوة لأدفعه جانباً، ورفعت السلاح بغية ضربه على رأسه، لكنني تلقيت لكمة على أنفي كادت تسقطني أرضاً لولا أن أمسك أدهم ذراعي وهو يوجه لكمة للحارس أسقطته بعيداً وهتف بي "اهربي نحو المركبة..".

أسرع خالد أمامي نحو المركبة وأنا خلفه، وتبعنا أدهم وهو يضرب من يقترب منه بسلاحه، ولما نظرت خلفي رأيت أمجد قد تملص من الحراس بدوره بعد أن نجح هو وأدهم في إسقاط ثلاث حراس وبقي خمسة لاحقونا بإصرار وإن لم يحاول أحدهم إطلاق الرصاص خوفاً على خالد الذي كان معنا..

عندما وصلت للمركبة نظرت حولي قبل أن أقول بقلق "أين بسمه؟"

سمعنا صوت طلقة عالية صمت أذاننا، فتجمد الجميع ونحن نلتفت للخلف لنجد بسمه في قبضة القائد الذي رفع سلاحه عالياً وأطلق رصاصة التحذير تلك.. ثم قال بهدوء "أخبرتكم أن تكفوا عن هذا العبث.. حياة هذه الفتاة لا تهمني في شيء لو كنتم تتساءلون عن هذا"

وقفنا بقلق ونحن نرى عيناها المذعورتان بصمت بليغ، وسمعناه يضيف "أعيدوا خالداً واستسلموا بصمت تام رجاء"

فقلت لأدهم بهمس "يجب أن نُنقذها منه.. أخشى أن يقتلها مهما فعلنا"
غمغم أدهم بحنق "أعلم هذا.."

حاولت بسمة مقاومة القائد بذعر وهلع، لكن قبضته كانت أقوى منها.. رأيت أدهم يشهر سلاحه نحو قائد الحرس، فصحت فيه "لا تفعل.. قد تصيبها معه"
كفّ عن هذا وهو يرى بسمة تقاوم باستماتة ودموعها تهطل بفزع شديد.. ودمدم بغيظ "تباً له.. سأقتله"

بدأ الحراس يقتربون منا بتهديد بينما قال القائد "أحذركم.. لا تأتوا بأي حركة لا تعجبني.."
قال أمجد "يبدو أننا مضطرون للاستسلام من جديد"
قال أدهم بحدة وهو يتقدم خطوة "مستحيل.."

ورفع سلاحه نحو القائد بتهديد، لكن القائد أسرع يجذب بسمة إليه ويلصق فوهة سلاحه لرأسها بحركة معبرة، فشهقت بسمة وهي تصيح "لا.. حمراء!!!"

مدت يدها إلينا وهي تصيح ودموعها تسيل على خديها بغزارة "حمراء.. ساعديني أرجوك"
بينما قال القائد مبتسماً "لا داعي لكل هذا.. لن أتردد أبداً في إطلاق النار على رأسها.."
فوجدنا في تلك اللحظة، بحركة سريعة خاطفة، بتلك اليد التي قبضت على يد القائد بسلاحه لتبعدها عن رأس بسمة، وفي نفس اللحظة ارتطم عقب سلاح صاحبها بوجه القائد بقوة.. فتلقى القائد الضربة بدهشة ليسقط أرضاً متألماً، بينما نظرنا نحن لوليد الذي انتهى من القائد والتفت لأحد الحراس القريبين منه ليعاجله بضربة أخرى في بطنه أتبعها بثانية في فكة قبل أن يستوعب الأمر.. سقط الحارس فاقد الوعي بينما رفع أحد الحراس سلاحه بسرعة وهو يصيح "ماذا تفعل أيها الخائن؟"
لكنه لم يفلح في إصابة وليد الذي ضرب فوهة سلاح الحارس بسلاحه لتطيش الطلقة، ثم عاجله بضربة قوية في بطنه بمؤخرة السلاح وضربة أخرى جردته من سلاحه.. كانت بسمة قد استغلت الموقف لتجري تجاهنا، فلحقها وليد فور أن تخلص من الحارس، بينما رفع أدهم سلاحه نحو الحراس وبدأ إطلاق نيرانه بغزارة ليعدهم ويؤخر تقدمهم..

صاح القائد بحنق "أوقفوهم.. امنعوهم من الرحيل بأي شكل كان"

كان هذا إيذاناً ببدء وابل الرصاصات التي تطايرت قربنا وحولنا من الحراس القريبين ومن غيرهم الذين تقدموا من جهات الساحة المختلفة.. فأسرع أمجد يدفع عمه خلف المركبة القريبة ليحتميا من الرصاص وأمجد يبادل الحراس الإطلاق من موقعه، وسمعته يصيح بي "حمراء.. اختبئي"

لكنني لم أتحرك من مكاني وأنا أنتظر بسملة التي اقتربت مني راكضة مذعورة تحمي رأسها بيديها، ولما وصلت إليّ دفعته أمامي وأنا أركض معها وكأني أحميها بجسدي حتى اختبأنا خلف المركبة بدورنا، بينما قبع أدهم قربنا وهو يطلق رصاصاته بعشوائية وقد قارب سلاحه على أن يفرغ من رصاصاته.. كانت رصاصات الحراس تصطدم بجسم المركبة بدوي عالٍ وانفجرت إطاراتها وهي واقفة، مما يعني أن استخدامها قد غدا مستحيلاً..

وقبل أن نبدأ، قبل أن يفرغ سلاح أدهم من رصاصاته، سمعنا صوت مركبة من المركبات القريبة تبدأ التشغيل فجأة، ثم تنطلق بقوة مثيرة غباراً كثيفاً في الساحة قبل أن تقف قربنا ووليد الذي كان يقودها يصيح "اقفزوا في المركبة.."

أطعناه بسرعة كبيرة ونحن نقفز في المركبة بعشوائية، بينما بقي أدهم يطلق رصاصاته بغزارة ليبعد الحراس عنا حتى فرغ سلاحه، عندها استدار وقفز في المركبة بجواري لينطلق بها وليد بسرعة والرصاصات ترتطم بجسمها المدرع مصدرة صوتاً مزعجاً.. تلقائياً أحنينا رؤوسنا لتفادي الطلقات المتناثرة فيما قاد وليد المركبة بتهور ليتجاوز بها البوابة محطماً أحد طرفي الباب الذي كاد يسدّ طريقنا وانطلق بها في المساحات الصخرية الواسعة بعيداً عن المباني الإدارية.. ألقيت نظرة خلفي أتأمل الحراس الذين تراكضوا بحثاً عن مركبة تصلح للحاق بنا، ثم عدت ببصري إلى بسملة المنكمشة جواري ودموعها تسيل بصمت بينما لا يكفّ جسدها عن الارتجاف.. لاحظت عندها الدماء تغرق ساق أدهم، فسألته بقلق "أنت مصاب.."

قال أدهم وهو يرمي سلاحه الفارغ عند قدميه "هذا لا يهم الآن.. نحن لم ننجُ بعد.."
سمعت أمجد يقول لوليد "شكراً لك لمساعدتنا.. لكنك قد كشفت نفسك بهذا وعودتك قد أضحت مستحيلة، فلم فعلت ذلك؟"

قال وليد مقطباً "عندما علمت بخبر القبض عليكم هرعت لأستطلع الأمر.. أنا واثق أن قائد الحرس سيمنعكم من الهرب مجدداً بكل قوته.. وعندما رأيته يقبض على بسملة لم أشك للحظة أنه قد يسعى لقتلها ليتأكد أنكم لن تفكروا بالهرب مرة أخرى"
انفضت بسملة برعب، فضممتها وأنا أعلق "لكنك قد أصبحت هارباً مثلنا الآن.."
تنهد وليد معلقاً "أرجو ألا أندم على هذا.."

لم نكد نبتعد مسافة قصيرة من المباني الإدارية حتى سمعنا صوت مركبة تلحقنا بإصرار.. نظرنا

خلفنا للمركبة التي تحمل ثلاث حراس وهم يقتربون منا شيئاً فشيئاً وأمجد يقول "ألا يمكننا الإسراع أكثر؟"

قال وليد مقطباً "لا.. لكن من أين جاءت هذه المركبة؟ لقد تأكدت من تفجير إطارات جميع المركبات في ساحة الإدارة"

قال أدهم "إن تمكنوا من الاقتراب فسيصيبوننا بأسلحتهم بسهولة"

قال وليد "هل يمكنك التصويب بدقة؟"

غمغم أدهم "لست ضليعاً في هذا"

فقال وليد لأمجد الجالس جواره "تول القيادة عني"

أمسك أمجد المقود، فقفز وليد للمقعد الخلفي تاركاً مقعده لأمجد الذي هتف "ليس بهذه الطريقة الفجة أيها المجنون"

انحرفت المركبة بعنف بعدما اختل سيرها، لكن أمجد سيطر عليها بسرعة ليعيدها لطريقها قبل أن يحدث ما لا تحمد عقباه.. بينما استند وليد بقدمه على المقعد الخلفي وأسند ذراعه الممسكة بالسلاح على ركبته وهو يصوب على المركبة الملاحقة لنا.. غمغمت وأنا أرى الحراس يستعدون بأسلحتهم بعد رؤية وليد "علام ستطلق من هذه المسافة؟ بإمكانهم إصابتنا كما يمكننا أن نصيبهم"

غمغم "يمكنني إصابة قائد المركبة.. وهم لا يملكون هذه الميزة.."

وبعد أن أحكم التصويب أطلق عدة رصاصات أصابت زجاج المركبة فحطمتها كما ضربت أجزاء متفرقة من واجهتها.. ورغم أن الحراس الآخرين أطلقوا نيرانهم علينا بعشوائية إلا أن استهداف قائد المركبة كان موفقاً إذ ارتبك في قيادته وحاول حماية رأسه فانحرفت المركبة بقوة وطلقاتهم تطيش بعيداً، وكادت المركبة تصطدم بصخرة كبيرة تفادها القائد بصعوبة.. لكن عاجله وليد برصاصات أخرى أصابت الإطار الأمامي فانفجر بقوة لتتحرف المركبة عن مسارها قبل أن تنقلب بعنف بعد أن عجز قائدها عن السيطرة عليها بسرعتها تلك..

نظرت بقلق للحادث وغمغمت "أتظنهم نجوا من الحادث؟"

قال أدهم مقطباً "ادخري مشاعرك تلك لما بعد.. فمازلنا في خطر"

وافق كلامه هدير يقترب منا بسرعة.. رفعنا أبصارنا لنواجه تلك المروحية التي اقتربت منا بسرعة حثيثة.. فصرخت بسمة "ماذا سنفعل؟ سيقتلوننا الآن.."

قال وليد وهو يرفع سلاحه مواجهاً المروحية "لا يمكن أن يفعلوا مادام خالد معنا.. لكن سيسعون لإيقافنا بأي شكل كان"

قلت له "ما الذي ستفعله أيها المجنون؟"

لم يعلق وهو يطلق رصاصات سلاحه بغزارة لتصيب زجاج المروحية الأمامي.. لكنها كانت محصنة ضد الرصاص فارتدت الرصاصات كلها دون أن تخدشه.. بينما بدأ قائدها إطلاق رصاصاته على مركبتنا بشكل متواصل..

علا صراخ بسمة المذعور وهي تحمي رأسها بذراعيها بينما صاح وليد بأمجد "إنه يسعى لتفجير إطاراتنا.. ناور بالمركبة بعيداً عن مرمى رصاصاته"

غمغم أمجد وهو يناور بالمركبة "القول سهل.. هذه المنطقة تعج بالصخور والحفر.. قد ننقلب لو اندفعنا بتهور"

بينما قال العم وهو يحمي رأسه بذراعيه بدوره "هذه خطة فاشلة"

لم يحاول وليد الاختباء وهو يطلق رصاصاته على مختلف مناطق المروحية محاولاً إيجاد نقطة ضعف تمكنه من التغلب عليها.. لكن ذلك بدا مستحيلاً.. فقال وهو يستخرج عبوة رصاصات جديدة من جيبه ويستبدل القديمة بسرعة "هذا مستحيل.. الطريقة الوحيدة هي أن أصيب ذيلها فقد أتمكن من إسقاط المروحة المسؤولة عن توازنها"

ثم هتف بأمجد "اضغط على المكابح.."

أطاعه أمجد على الفور فضغط على المكابح بقوة لتتخفض سرعة المركبة فجأة حتى كادت أن تسقطنا من فوقها بينما استمرت المروحية في سيرها وعبرت فوق رؤوسنا.. عندها قام وليد الذي وقف متأهباً بسلاحه بإطلاق رصاصاته على مروحة الذيل فور أن تبدت له.. في البدء لم يبدُ لفعله أي أثر والمروحية تستدير لتواجهنا، لكن سرعان ما ظهر دخان خفيف من الذيل قبل أن تبدأ المروحية في الدوران حول نفسها بقوة وقائدها عاجز عن السيطرة عليها وهي تميل جانباً بعنف.. عندها قال وليد "انطلق بنا بسرعة يا أمجد قبل وصول المزيد منهم.. سيكون قائد المروحية حسن الحظ لو تمكن من الهبوط بها دون أضرار"

انطلق أمجد بالمركبة بسرعة عائداً تجاه الجبال التي تشكل بالنسبة لنا الغطاء المثالي ومخبأً آمناً من أعين المؤسسة..
